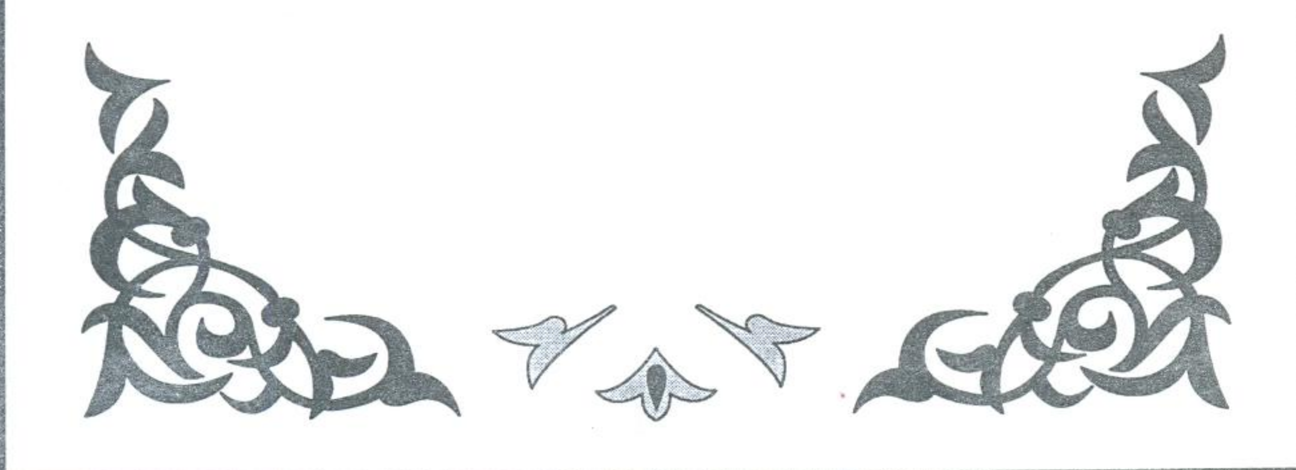


المحاضرة الأولى

انظر حولك

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الَّذِي خلقَ فسوَّىٰ، وقدَّر فهدَىٰ، وأخرجَ المرعَىٰ فجعلَهُ غثاءً أحْوىٰ.

فهو الذي أضْحَكَ وأبكىٰ، وأماتَ وأحيىٰ، وأغْنَىٰ وأَقْنَىٰ، وجعلَ الزَّوجينِ الذكرَ والأنثىٰ من نُطْفَةٍ إذا تُمْنَىٰ، ونَصَبَ في كونه دلائلَ علىٰ وَحدانيَّتِهِ، وشواهِدَ علىٰ قُدْرته.

فَيَا عَجَبًا كَيفَ يُعْصَى الإله   أمْ كَيفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ

وَفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ   تَدلُّ عَلَى أَنَّهُ الوَاحِدُ

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وَحْدَهُ لا شريكَ له، ولا ندَّ له، ولا نظيرَ له، ولا مثيلَ له، ولا مُشيرَ له، ولا وزيرَ له، خَلَقَ الخَلْقَ بقدرته، وأرسلَ الرسُلَ برحمته، وأنزلَ الكتبَ بحكمته، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُ اللهِ ورسولُه، بلَّغَ الرسالةَ خيرَ بلاغ، وأدَّىٰ الأمانةَ أتمَّ أداء، ونَصَحَ الأئمَّةَ خيرَ نصيحة، فاللَّهُمَّ اجْزِه عنَّا خير ما جَزَيْتَ نبيًا عن أُمَّته، ورسولاً عن قَوْمِه. وبعدُ:

فأصلُ هذه الرسالةِ محاضرة كنتُ قَدْ ألقيتُها في هلسنكي عاصمة فنلندا، وأعدتُها في الإمارات، وألقيتُها أيضًا في المنصورة في مسجدِ التَّوحيد بها، ثم ألقيتُها في مسجدِ «أهل السنَّة» في منية سمنود[1]، وفي غيرها من الأماكنِ فنفع

---

(١) بدعوة من فضيلة الشيخ مصطفى العدوي حفظه الله ورعاه.

اللهُ بها، فأردْتُ أنْ تعمَّ بها الفائدةُ فهذبْتُها وزدتُ عليها بعضَ الزياداتِ ولم أستطردْ حتىٰ لا يكبر حجمُها، ولا تَثقُلَ مئونتُها، ثمَّ دفعتُها للنشر لكي تكونَ بينَ يَدَي الخُطَبَاء والمحاضرينَ إذا ما أرادُوا أن يَتَنَاولُوا هَذَا الموضُوعَ في محاضراتِهِم أو خُطَبِهم، وأسْمَيْتُها «انْظُرْ حَوْلَكَ»، وهي تتحدثُ عن التفكرِ في مخلوقاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ثمَّ سياحة فكرية مع نُبَذٍ من الإعْجازاتِ القرآنيةِ تدورُ حولَ التفكّرِ والاعتبارِ، مُبْرِزًا مظاهرَ عظمةِ الخالقِ ـ تباركَ وتعالىٰ ـ لترسيخِ العقيدةِ في قلوبِ المؤمنينَ، وإقامة الحجةِ علىٰ الكافرينَ والملحدينَ، واللهَ أسألُ أنْ يفتحَ بها آذانًا صُمًا، وأعيُنًا عُمْيًا، وقُلُوبًا غُلْفًا، وأن يهديَ بها عاصيًا، ويُثبِّتَ بها مؤمنًا، ويَدْحَضَ بها شكًّا، ويزيلَ بها ريبًا، ويُنيرَ بها ظُلْمةً، ويُقيلَ بها عَثْرَةً، وأن ينفعَ بها العبدَ الفقيرَ في قبرِه، وكذا كُلَّ من شارك في نشرِها، أو تبليغِها بين الناسِ ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: ٣٣].

وآخرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ محمَّد وآله وصحبه والتابعينَ.

وكتبه

وحيد بالي

منشأة عباس في ١٧/ ٤/ ١٤١٧هـ

النوايا التي يمكن أن يستحضرها المحاضر قبل إلقاء هذه المحاضرة

أولاً: النوايا العامة:

١ ـ ينوي القيام بتبليغ الناس شيئًا من دين الله إمتثالاً لقول النبي ﷺ: «**بلِّغوا عني ولو آية**» رواه البخاري.

٢ ـ رجاء الحصول علي ثواب مجلس العلم[١].

٣ ـ رجاء أن يرجع من مجلسه ذلك مغفوراً له[٢].

٤ ـ ينوي تكثير سواد المسلمين والالتقاء بعباد الله المؤمنين.

٥ ـ ينوي الاعتكاف في المسجد مدةّ المحاضرة ـ عند من يرىٰ جواز ذلك من الفقهاء ـ لأن الاعتكاف هو الانقطاع مدة لله في بيت الله.

٦ ـ رجاء الحصول علىٰ أجر الخطوات إلىٰ المسجد الذي سيلقي فيه المحاضرة[٣].

---

(١) روىٰ مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده».

(٢) روىٰ الإمام أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٧) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم علىٰ ذكر، فتفرقوا عنه إلا قيل لهم قوموا مغفوراً لكم»، ومجالس الذكر هي المجالس التي تذكر بالله وبآياته وأحكام شرعه ونحو ذلك.

(٣) في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من غدا إلىٰ المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح».

وفي صحيح مسلم عنه أيضًا أن النبي ﷺ قال: «من تطهر في بيته ثم مضىٰ إلىٰ بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته: إحداها تحط خطيئة، والأخرىٰ ترفع درجة».

٧ ـ رجاء الحصول على ثواب انتظار الصلاة بعد الصلاة، إذا كان سيلق محاضرته مثلاً من المغرب إلى العشاء، أو من العصر إلى المغرب[١] .

٨ ـ رجاء أن يهدي الله بسبب محاضرته رجلاً. فيأخذ مثل أجره[٢] .

٩ ـ ينوي إرشاد السائلين، وتعليم المحتاجين، من خلال الرد على أسئ المستفتين[٣] .

١٠ ـ ينوي القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ـ بالحكمـ والموعظة الحسنة ـ إن وجد ما يقتضي ذلك[٤] .

١١ ـ ينوي طلب النضرة المذكورة في قول النبي ﷺ: «**نضَّر الله عبداً سمـ مقالتي فوعاها وحفظها، ثم أداها إلى من لم يسمعها**».رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في «صحيح الجامع»(٦٧٦٦).

ـ ثم قد يفتح الله على المحاضر بنوايا صالحةٍ أخرى فيتضاعف أجره لقول النبي ﷺ: «**إنما لكل امرئ ما نوى**». متفق عليه .

---

(١) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا يزال أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة».

ـ وروى البخاري عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلى فيه، ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه».

(٢)، (٤) روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «فوالله لأ يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم».

ـ وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا».

(٣) روى الترمذي وصححه الألباني عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: إن الله وملائكته، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير».
وصلاة الملائكة الاستغفار .

ثانيًا: النوايا الخاصة في إلقاء هذه المحاضرة:

١ ـ تثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين.

٢ ـ درء الشبهات التي قد تعرض لبعض المسلمين.

٣ ـ الوقوف على بعض جوانب عظمة الله في خلقه.

٤ ـ الأخذ بالقلوب لمحبة الله تبارك وتعالى من خلال إبراز نعم الله علينا.

٥ ـ حث المؤمنين على عبادة التفكر في مخلوقات الله تعالى.

٦ ـ بيان أن الله تعالى يستجيب الدعاء من عباده المؤمنين.

٧ ـ حث المسلمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال استعراض قصة الهدهد.

٨ ـ حث المؤمنين على الوقوف عند حدود الله وعدم تعديها من خلال استعراض قصة القرود.

٩ ـ التنفير من جريمة الزنا من خلال القصة الآنفة.

١٠ ـ تحبيب الناس في العلماء من خلال قصة الشافعي والزنديق.

عناصر المحاضرة:

١ ـ الشافعي والزنديق.

٢ ـ علماء الفلك يكتشفون ولكن القرآن سبق.

٣ ـ علماء الحشرات والاكتشاف العجيب.

٤ ـ سياحة فكرية في اليمن.

٥ ـ الطائر الموحد .

٦ ـ خبر من جزر القُمُر .

٧ ـ القرود تعرف ربها وتقيم حدود الله في الأرض .

٨ ـ النمل يعاقب الكذاب .

٩ ـ الفأرة وعلم الكيمياء .

١٠ ـ قصة إسلام عالم من تايلاند .

* * *

١. فضل التفكر في مخلوقات الله

أيُّها المسلمونَ الكرامُ:

لقاؤنا الليلةَ - إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ - يختلفُ عن اللقاءات السابقةِ.

- إنَّهُ يخاطبُ القلبَ والعقلَ معًا.

- إنَّه يوقفُكَ علىٰ عظمةِ خالقِكَ.

- إنَّه يَلْفِتُ نظرَكَ... وينبِّهُ عقلَكَ.. ويُوقِظُ وِجْدَانَك.

- إنَّهُ سياحةُ فكْرٍ.. وراحَةُ قلبٍ.. وإيقاظُ ضمير.

سوفَ نُحلقُ فيهِ حولَ مواطنَ عدَّة:

١- فبينما نحن نخترق حُجُبَ التاريخ لنتوقَّفَ عندَ مناظرةِ الشَّافعي للزنديقِ الملحدِ.

٢- إذا بنا نعودُ سريعًا إلىٰ علماءِ الفلَكِ لنرىٰ ماذَا قالُوا عنِ النجومِ والكواكب.

٣- وبينما نحنُ كذلكَ ننتَقِلُ سريعًا إلىٰ علماءِ الحشَرَاتِ وما كَشَفوهُ منْ أسرار مُذْهلة ولكنَّ القرآنَ سبقَ.

٤- ثم نَنْتَقِلُ بكمْ إلىٰ اليمنِ حيثُ الخَبَرُ السَّعِيدُ.

٥- ولكنَّنَا لا نلبثُ أن نعودَ إلىٰ الطائرِ الذكي الفطنِ لنفهمَ ونتعلمَ.

٦- ثمَّ نعودُ بكمْ إلىٰ «جُزُرِ القُمُر» لنتابعَ أحداثَ البركانِ المذهلِ ولكنَّنا لا نستغرقُ كثيرًا منَ الوقتِ.

٧ـ ثمَّ نرجعُ إلىٰ عالَم آخر ، إنه عالَمُ القرودِ ، حيثُ ننقلُ لكمْ علىٰ الهواء مباشرةً أحداثَ إقامةِ الحد في دولةِ القرودِ .

٨ـ ثمَّ نعودُ إلىٰ عالَم النَّمل لنرىٰ عقوبةَ الكذَّابينَ منَ النّمل ونشاهِدَ ما الذي يحدُثُ في هذا العالَم العجيب .

٩ـ ثمَّ ننتقِلُ بكمْ إلىٰ الفأْرةِ الكيميائيةِ لتُعْطِينَا دَرْسًا في كثافَةِ السوائلِ ، ثمَّ قصيدة في التفكر والاعتبارِ ، لكنْ قبلَ ذلكَ ننقلُ لكمْ قصةَ إسلامِ العالِم التايلاندي تاجاثات تاجاسون ، ثمَّ نتركُكُمْ في رعايةِ اللهِ وحفظِه ، وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ .

❋ ❋ ❋

وقفة مع النفس

عبادَ الله، قدْ يكونُ أحدُنا عَبَدَ ربَّهُ بعبادات كثيرة كالصلاةِ والزكاةِ والحج والصدقةِ وصِلَةِ الأرحامِ وصدقِ الحديثِ، ومساعدةِ المحتاجِ وتشميتِ العاطسِ، وأداء الأمانةِ وغيرِها من العباداتِ إلا أنَّهُ ربما لا يكونُ عَبَدَ ربَّه ولو مرةً واحدةً في هذا العمرِ المديدِ بعبادةِ التفكرِ في مخلوقاتِ الله تعالىٰ. برَغْمِ أن رَبَّ العزَّةِ ـ تباركَ وتعالىٰ ـ قد حثَّنَا عليها فقال سبحانه: ﴿ **أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ** ﴾ [ق: ٦]، وقال: جل شأنه: ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ** ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ـ مَن منَّا عبادَ اللهِ خرجَ منْ بيتهِ يومًا يمشي بينَ المزارعِ والحقولِ وحدَه يتأملُ في مخلوقاتِ اللهِ، ويتفكرُ في قدرة اللهِ، ويتعجبُ من عظمةِ الله؟!

ـ منْ منّا صَعِدَ فوقَ سطْحِ بيتِه ليلةً يُقلبُ نَظَرَهُ في السماءِ بينَ نجومِها وكواكبِها، وارتفاعِها واتساعِها، ويقولُ: ﴿ **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾؟ قال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

❊ ❊ ❊

الشافعي والزنديق

التقى زنديق بالإمام الشافعي يومًا فقالَ لهُ: يا شافعي؛ ما الدليلُ على وجودِ اللهِ؟

فقالَ الشافعي: وَرَقَةُ التوتِ!!

فقالَ الزنديقُ: كيفَ ذلكَ؟!

قالَ الشافعي: انظرْ إليها أليسَ لَوْنُهَا واحدًا؟ وطَعْمُهَا واحدًا؟ وَرِيحُهَا واحدًا؟

قال الزنديقُ: بلى.

فقالَ الشافعي: تأكلُها دُودَةُ القَزِّ فتُخْرِجُ حريرًا ناعمًا، وتأكلُها النَّحلةُ فتُخْرِجُ عَسَلاً صافيًا، وتأكلُها الظباءُ فتخرجُ مِسْكًا طيبًا، وتأكلُها الحيواناتُ فتُخْرِجُ بَعْرًا مُنْتِنًا.

مِن الذي أوجدَ هذه المصانعَ في تلكَ الحيواناتِ؟!

إنَّهُ اللهُ خالقُ البَرِيَّاتِ ﴿**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: ٢٥٨].

* * *

هل تعلم؟

أخي: هلْ تعلمُ أنَّ الرعدَ يسبحُ بحمدِ ربه؟ ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ [الرعد: ١٣].

- هلْ تَعلمُ أنَّ الطيرَ يسبحُ ربَّه ويمجدُه؟ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور: ٤١].

- هلْ تعلم أنَّ الماءَ والنباتَ والجمادَ والحجرَ والشجرَ يسبحُ بحمدِ ربه؟ ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

- بل هلْ تعلمُ أنَّ الأرضَ تسجُدُ لربها، والنجومَ تسجدُ لربها، والشمسَ تسجدُ لربها، والقمرَ يسجدُ لربه، والجبالَ تسجدُ لربها والشجرَ يسجدُ لربه، والدوابَّ تسجدُ لربها؟ قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾ [الحج: ١٨].

سَلِ الوَاحةَ الخَضْرَاءَ وَالمَاءَ جَارِيًا ... وَهَذي الصَّحَارِي وَالجِبَالَ الرَّوَاسِيَا
سَلِ الرَّوْضَ مُزْدَانًا سَلِ الزَّهْرَ وَالنَّدَى ... سَلِ اللَّيْلَ وَالإِصْبَاحَ وَالطَّيْرَ شَادِيًا
وَسَلْ هَذِهِ الأَنْسَامَ وَالأَرْضَ وَالسَّمَا ... وَسَلْ كُلَّ شَيءٍ تَسْمَعِ الحَمْدَ سَارِيًا
فَلَوْ جَنَّ هَذَا اللَّيْلُ وَامْتَدَّ سَرْمَدًا ... فَمَنْ غَيْرُ رَبِّي يُرْجِعُ الصُّبْحَ ثَانِيًا؟

❊ ❊ ❊

نظرة في شجرة

اخرُجْ معي الآن منْ هذا المسجدِ، وامشِ بينَ المزارع والحقولِ سترىٰ شجرةً عظيمةً جذورُها في الأرضِ ممتدة، وأغْصَانُها في السَّماءِ مرتفعة، سلْ نفسَك ما أصلُها؟ أصلُها بَذْرَة صغيرة، صغيرة جِدًا، ثمَّ انظرْ بجوارِ هذه الشجرةِ سترىٰ شجرةَ الفولِ التي لا تتعدىٰ سيقانُها المترينِ فقطْ، سلْ نفسَك ما أصلُها؟ أصلُها حبةُ الفولِ الكبيرةُ التي تعادلُ بذرةَ الشجرةِ عَشراتِ المرات، سلْ نفسَك: بذرةٌ تُنبِتُ هذهِ الشجرةَ العظيمةَ؟!

وبذرة كبيرة تنبِتُ هذهِ الشجرةَ الصغيرةَ؟!

وكأنَّ ربَّ العزةِ - تباركَ وتعالىٰ - يريدُ ألا يعلقَ قلوبَنا بالأسبابِ، وإنما يريدُ أنْ تتعلقَ قلوبُنا بخالقِ الأسباب تباركَ وتعالىٰ.

انظُرْ لِتلْكَ الشَّجَرَه ... ذَات الغُصُون النَّضره
كَيْفَ نَمَتْ مِنْ حَبَّه ... وَكَيْفَ صَارَتْ شَجَره
فَانْظُر وَقُلْ مَنْ ذَا الَّذي ... يُخْرِجُ مِنْهَا الثَّمَره
ذَاكَ هُوَ اللهُ الَّذِي ... أَنْعُمُهُ مُنْهَمِره
ذُو حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ ... وقُدْرَةٍ مُقْتَدِره
وَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ الَّتِي ... جَذْوَتُهَا مُسْتَعِرَه
فِيهَا ضِيَاءٌ وبِهَا ... حَرارةٌ منتشِره
مَنِ الَّذِي أَوْجَدَهَا ... فِي الجَوِّ مِثلَ الشَّررَه؟
ذَاكَ هُوَ اللهُ الَّذِي ... أَنْعُمُهُ مُنْهَمِرَه
ذُو حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ ... وقُدْرَةٍ مُقْتَدِره

وَانْظُرْ إِلَى اللَّيْلِ فَمَنْ ... أَوْجَدَ فِيهِ قَمَرَه
وَزَانَهُ بِأَنْجُمٍ ... كَالدُّرَرِ الْمُنْتَشِرَه
وأنظُر إِلَى الغَيْم فَمَنْ ... أنزل مِنْه مطَرَه
وَانْظُرْ إِلَى الْمَرْءِ وَقُلْ ... مَنْ شَقَّ فِيهِ بَصَرَه
ذَاكَ هُوَ اللهُ الَّذِي ... أَنْعُمُهُ مُنْهَمِرَه
ذُو حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ ... وقُدْرَةٍ مُقْتَدِرَه[1]

* * *

(١) للشاعر أحمد شوقي.

علماء الفلك يكتشفون ولكن القرآن سبق

يقولُ علماءُ الفلكِ: إنَّ الضوءَ يقطعُ في الثانيةِ الواحدةِ «٣٠٠,٠٠٠» كيلو متر، ويقطعُ في الدقيقةِ الواحدةِ «١٨٠٠٠,٠٠٠» كيلو متر.

- فالضوءُ ينطلقُ منَ الشمسِ فلا يصلُ إلىٰ الأرضِ إلا بعدَ أنْ يستغرقَ رحلةً طولُها «٨» دقائقَ تقريبًا.

- ومِنَ النجومِ ما ينطلقُ ضوؤُه فلا يصلُ إلىٰ الأرضِ إلا بعدَ أنْ يقطعَ رحلةً طولُها أربعُ سنوات وخمسةُ أشهُر.

- ومِنَ النجومِ ما ينطلقُ منه الضوء فلا يصلُ إلىٰ الأرضِ إلا بعدَ أنْ يقطعَ رحلةً طولُها «١٠٠» سنة.

- ومِنَ النجومِ ما ينطلقُ منهُ الضوءُ فلا يصلُ إلىٰ الأرضِ إلا بعدَ أنْ يقطعَ رحلةً طولُها «١٠٠٠,٠٠٠» سنة.

- ومِنَ النجومِ ما ينطلقُ منهُ الضوءُ فلا يصلُ إلىٰ الأرضِ إلا بعدَ أنْ يقطعَ رحلةً طولُها «٦ بلايين» سنة.

كل هذا وهو يقطعُ في الدقيقةِ الواحدةِ «١٨ مليون» كيلو متر.

فأينَ تقعُ هذهِ النجومُ؟.

تريدُ أنْ تعرفَ أينَ تقعُ؟ أحضرْ كتابَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ وافتحْهُ واقرأْ سورةَ الواقعةِ لتصلَ إلىٰ قولهِ تعالىٰ: ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**﴾، وسلْ نفسَكَ: لماذا لم يقسمْ ربُنا بالنجوم ذاتِها، برغم أنَّ العَرَبَ الذينَ نزل فيهمُ القرآنُ كانوا يَرَوْنَهَا بأعينِهِم، لماذا عدل عنِ الإقسامِ بها إلىٰ الإقسام بمواقعِها؟

لسرٍّ في القضيَّة!

ثم لم يقلْ ربنا: «وَإنَّهُ لَقَسَم عَظِيم»؛ لأنَّ عِظَم هذا القسَمِ لا يعلمهُ كل الناسِ، بلْ لا يعلمه إلا مَنْ وقفَ علىٰ حقائقِ العلمِ، فعلَّق رب العزة - تبارك وتعالىٰ - عِظَمَ هذا القسمِ علىٰ العلمِ فقالَ سبحانَه: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أيْ: لو وقفتُم علىٰ حقائقِ العلم وعلمتُمْ أينَ تقعُ هذه النجوم، وعلمتُمْ ما بينكُم وبينها منْ «بلايينِ» السنواتِ الضوئيةِ لعلمتم أنَّه قسمٌ عظيمٌ فلمَّا كانَ القسمُ عظيمًا أقسمَ اللهُ به علىٰ أعظمِ موجود في أيدي الناسِ وهوَ القرآنُ الكريمُ فقالَ سبحانَه: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٧].

وهذا كله لا يزال في زينة السماء الأولىٰ فقط، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك: ٥]، فما بالُك بالسماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة!!

سبحانَك يا ربَّنا، يا منْ سبَّحَتْ لهُ الكائناتُ، يا من سَجَدَ لهُ النَّبَاتُ، يا منْ تدكدكَتْ لخشيتِه الجبالُ الراسياتُ.

وَيَهْتِفُ حَمْداً جَمَالُ الصَّبَاح ... وَسِحْرُ الرَّبِيعِ الشَّهِيُّ العَطِرْ
وَسِحْرُ السَّمَاءِ الشَّجِيّ الوَدِيعُ ... وَهَمْسُ النَّسِيمِ وَلَحْنُ المَطَرْ
تُسَبِّحُهُ نَغَمَاتُ الطُّيُورِ ... يُسَبِّحُهُ الظِّلُّ تَحْتَ الشَّجَرْ
يُسَبِّحُهُ النَّبْعُ بَيْنَ المُرُوجِ ... يُسَبِّحُ دَوْمًا أَرِيجُ الزَّهَرْ
يسَبِّحُهُ النُّورُ بَيْنَ الغُصُونِ ... وَسِحْرُ المَسَاءِ وَضَوءُ القَمَرْ (١)

* * *

(١) موارد الظمآن في محبة الرحمن. ط. مكتبة الصحابة بجدة.

علماء الحشرات والاكتشاف العجيب

عكفَ علماءُ الحشراتِ مدة مِن الزَّمَنِ يُجْرونَ بحوثًا ودراسات حولَ النملةِ، حيثُ وضعوهَا في مختبرات خاصَّة معَ أجهزة للمراقبةِ والتصويرِ، وأجهزة أخرىٰ (فوق سمعية) للتسجيلِ لعلَّ النملَ يُصدرُ أصواتًا فتسجلُ، أو حركات فتُرْصَدْ، وفي النهايةِ خرجوا بنتائجَ، هذه خلاصتُها:

أولاً: قالُوا: لقد تبينَ لدينَا منَ الملاحظةِ التامَّة أنَّ النملَ أمة كأمةِ البشرِ؛ لها قانونُها الاقتصادي، والسياسي، والاجتماعي، بلْ والعسكري أيضًا.

فالنملُ له نظام اقتصادي خاص في التوفير، ورَصْدِ الاحتياطيِّ لوقتِ الحاجةِ، وحفظ المخزونِ بطريقة معينة حتىٰ لا يفسدَ.

وفي النظامِ السياسي من ملوك ورؤساء وقادة، وفي النظام الاجتماعي منْ أُسَر وجماعات، وفي النظام العسكري من جيوش وحمايات بل ثبتَ أنَّ النمل يقومُ بحملات عسكرية علىٰ القرىٰ المجاورةِ منَ النملِ ويأسِرُ منهمُ الأسْرَىٰ ويضعُهُم في السجونِ!!

ومِن هنا يَتَبَيَّنُ لدَيْنَا أنَّ النملَ أمة كأمةِ البشرِ في الدقَّةِ والنظامِ.

قلنا لهُمْ: هذا اكتشاف رائع، لكنَّ الأروعَ أنَّ القرآنَ قدْ أخبرَ بذلكَ قبلَ ألف وأربعمائةِ عام!!

قالُوا: أينَ ذلكَ؟ وكيفَ أخبرَ؟!

قلنَا: عندنَا في القرآن الكريمِ سورة تسمَّىٰ سورة الأنعامِ، نفتحُ هذه السورةَ في الآية (٣٨) يقولُ اللهُ تعالىٰ: ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾.

والنملُ دابَّة، فهيَ أمة كأمةِ البشرِ (أَمْثَالُكُمْ) والكافُ لخطابِ البشرِ والميمُ للمثليةِ والجمع، أيْ أمثالكم يا معشرَ البشرِ، أمثالكم في الدقةِ والنظامِ وغير ذلكَ فسبحانَ مَنْ أنزلَ هذا الكتابَ علىٰ النبي الأمي محمد ﷺ.

ثانيًا: قالُوا: لقَدْ تبينَ لدينا منَ الملاحظة التَّامَّة والتسجيلِ الدقيقِ أَمْر عَجيب.

قلنا: مَا هُوَ؟

قالُوا: كانت البشريةُ جميعًا حتَّىٰ القرن (١٩) الميلاديَّ يظنونَ أنَّ النملَ حشرة لا تنطقُ، وأنَّها تتعاملُ معَ أخواتِها من النَّمْلِ بالإشارةِ أو الإيحاءِ أو غيرِ ذلك، لكنْ بفضلِ أجهزة التسجيلِ فوقَ السمعيةِ (التي تسجلُ الأصواتَ التي لا تسمعُها الأذنُ) تبينَ لنا أنَّ النملَ ينطقُ ويتكلمُ، ويناقش ويجادلُ بلْ ويعقدُ المؤتمرات لدراسة مشاكله الخاصَّة!!

قلنا لَهُمْ: هَذَا اكتشاف مذهل، لكنَّ الأعجبَ أنَّ القرآنَ قدْ أخبرَ بذلكَ أيضًا.

قالُوا: كيفَ ذلكَ ولمْ يَكْتَشفْ هذا أَحَد قبلَنَا؟ بلْ ولم يكنْ بوسْعِهِ أن يكتشفَه؛ لأنَّ الأجهزةَ فوق السمعيةِ لم تكنْ قد عُرفَتْ بَعْدُ.

قلنا: بلْ هوَ موجودٌ في القرآنِ.

قالُوا: أينَ هوَ؟.

قلنَا: عندنَا في كتاب ربنا سورة تسمَّىٰ سورةَ النمل، نفتح هذه السورةَ ونقرأ الآيتين (١٧، ١٨): ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ...**﴾.

فها هُوَ القرآنُ يخبرُ أنَّ النملَ ينطقُ ويتكلمُ (قَالَتْ نَمْلَة...) فهلْ كانتْ عندَ

محمد ﷺ أجهزة فوقَ سمعيَّة ليعرفَ بها أنَّ النملَ يتكلمُ؟

أمَا كان يخشَىٰ محمد ﷺ وهُوَ يتلُو علىٰ البشريَّة هذه الآيةَ أنْ يكذِّبُوهُ ويتحدَّوْهُ ويقولونَ: كيفَ تخبرُ أَنَّ النملَ يتكلَّمُ؟

أنتم - معشرَ المكذبِينَ برسالةِ محمَّد من اليهودِ والنصارىٰ والشيوعيينَ - تزعمونَ أنَّ محمداً ألَّفَ القرآنَ مِنْ مزيج من حضاراتِ الفرسِ والرومان!!

فهلْ كان محمد يقرأ ويكتبُ حتَّىٰ يطَّلعَ علىٰ هذه الحضاراتِ؟! لا بلْ كانَ أميًا لا يقرأ ولا يكتبُ.

وحتَّىٰ لو سَلَّمنا جدلاً بأنَّه كان يقرأُ ويكتبُ، فهلْ كانتْ الثقافاتُ المزعومةُ وصلتْ إلىٰ هذا التقدمِ؟

الجوابُ - بشهادةِ التاريخ -: لا........ لا........ لا.

إذًا مِن أينَ جاءَ محمد بالقرآنِ؟

الجوابُ: الذي لا محيص عنْهُ هوَ: أنَّ هذا القرآنَ أُنزِلَ إليهِ مِنْ عندِ اللهِ الذي يعلمُ كلَّ شيء.. فهلْ بقِيَ لِمنْكِرِ حُجَّة؟!

وإننا نقولُ لعلماء الحشرَات: إنَّ القرآنَ لم يُخْبِر عما اكتشفتموهُ فقطْ بلْ زادَ علىٰ اكتشافِكُمْ هذا شيئًا آخرَ لم تَصِلُوا إليهِ بعدُ!!

قالُوا: ما هُوَ؟

قُلنَا لَهُمْ: ما الَّذِي أدْراكُمْ أنَّ النمل يتكلَّمُ؟

قالُوا: سَجَّلَتْ أصواته الأجهزةُ فوقُ السَّمعيَّةِ، وصورَّتَهُ أجهزةُ الكمبيوتر «شفَرَات وَاضِحَةً».

قلنا لهم: ترجِموا لنا هذه الشفراتِ إلىٰ لغة يفهمُها بنو البشرِ، أيِّ لغة فِي العالَمِ تختارُونَها.

قالُوا: لا ، ما زالَتْ أسرارُ هَذهِ الشَّفَرَاتِ غامضةً حتَّىٰ الآنَ لم يستطعِ العِلمُ الحديثُ أنْ يفُكَّ رموزَها أو يكشفَ عن معانيها .

قلنَا لهُمْ: لكنَّ القرآنَ قدْ ترجَمَ لغةَ النملِ إلىٰ لغة يفهمُها بنو البشرِ .

قالُوا: أينَ ذلكَ؟

قلنَا: في سورةِ النملِ الآية (١٨) : ﴿ **حتَّىٰ إذَا أتَوْا علَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ** ﴾ .

السُّؤال: بأي لغة نطقتِ النملةُ؟

بالعربيةِ أَمْ بالإنجليزيةِ ، أَمْ بالألمانيةِ ، أَمْ بالأسبانيةِ . . .

الجوابُ: بلغةِ النملِ (بشفراتِ النملِ) .

السؤال: فهلْ وُضعَ قولُها بينَ قَوْسين [. . .] وسُجلَتْ شفرات غامضة كما فعلَها الكمبيوتر؟

الجواب: لا ، بَلْ تُرجمتْ إلىٰ لغة يفهمُها البشرُ واسْمَعْ إلىٰ التَّرْجَمة الحَرْفِيَّة : ﴿ **قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ .

فمنْ أخبَرَ محمداً بهذا؟

إنَّه اللهُ الذي لا إلَهَ إلا هُوَ وسعَ كلَّ شيء علمًا .

يَا مَنْ يَرى مَـدَّ الْبَعُوضِ جَنَاحَهَا ... في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الأَلْيَلِ
وَيَرَى نِيَاطَ عُرُوقِهَا في نَحْرِهَا ... وَالْمُخَّ في تِلْكَ الْعِظَامِ النُّحَّلِ
امْنُنْ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا ... مَا كَانَ مِنِّي في الزَّمَانِ الأَوَّلِ

* * *

سياحة فكرية في اليمن

نزلَ رجل بريطاني وزوجَتُه اليمنَ، فالتقيَا بعالم مِنْ عُلَماء اليمنِ فقالتِ البريطانيةُ للعالِمِ اليمني: أمسلم أنتَ؟

قالَ: نَعَمْ.

قالَتْ: دينُكُمْ هذا خرافات وأساطيرُ.

قالَ: كَذَبْتِ، بلْ دِينُنا دينُ العلمِ والعقلِ.

قالتْ: سوفَ أثبتُ لكَ بالأدلَّةِ الماديَّةِ صدْقَ قولي.

قالَ: كيفَ ذلكَ؟

قالتْ: سوفَ أسْأَلُكَ سؤالاً واحداً، فإنِ استَطعْتَ أن تجيبني عليه ـ ولن تستطيعَ ـ سأدخُلُ معكَ في دينِكُمْ، وإنْ لمْ تستطعْ علمْتَ صدْقَ قولي بأنَّ دينَكمْ هذا خرافات وأساطير.

قالَ: سَلِي.

قالَتْ: مَنْ تعبدُ؟

قالَ: اللهَ.

قالت البريطانيةُ: مَا طولُ هذا الإلهِ وما عرضُه؟

انظرْ إلى هذا السؤالِ العجيبِ الذي يدل على انتِكاسِ في الفطرةِ ورداءة في التفكيرِ!!

والسائِلَةُ لا تؤمِنُ بقرآن ولا بِسُنَّة، إنَّها لا تصدقُ إلا حواسَّها الخمسَ فَقَطْ

(الشَّمّ والذَّوْق واللَّمس والسَّمْع والبَصَر).

قالَ العالمُ اليمنيُّ: وأنتِ تُحبينَ زوجَكِ؟

قالَتْ: نعمْ.

قالَ: ما طولُ هذا الحب وما عرضُه؟

قالَتْ: وهلِ الحبُّ يقاسُ بالكيلومترات؟

فـقــالَ: الحب - وهوَ منْ مخلوقاتِ اللهِ - لا يخضعُ للمقياسِ وتُريدينَ أنْ تُدْخلِي اللهَ - جلَّ وعلا - تحتَ المقيَاسِ؟!

اللهُ لا يُشْبِهُ النَّاسَ، ولا يدْخلُ تحتَ المقياسِ، ولا تدرِكُهُ الحواس، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فقالَتِ المرأةُ وزوجُها: نشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ.

* * *

الطائرُ الموحِّدُ

الهُدهُدُ ذلكم الطائرُ الموحدُ، الذي مَرَّ على قوم يُشركونَ باللهِ فأنكرَ هذا الفِعْلَ وبلَّغَ الخبرَ إلى منْ يستطيعُ تغييرَ المنكرِ، إلى سليمانَ عليه السلامُ، واسمعْ إلى القرآن الكريم وهُوَ يصوِّرُ الموقفَ تصويراً بديعًا دقيقًا: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٠-٢٦].

ولنا عدَّة وقَفَات:

الوقفةُ الأولى:

سليمانُ عليه السَّلامُ - يتفقَّدُ رعيَّتَهُ ويسألُ عنْهم، وهذا منْ أُسُسِ العدْلِ في الدولةِ الإسلاميةِ.

الوقفةُ الثانيةُ:

ثلاثةُ قوانينَ تطبَّقُ على منْ يخالفُ الأمرَ الصادرَ من الخليفةِ:

- التعزيرُ: ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.
- الإعدامُ: ﴿أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ﴾.
- تقديمُ المستنداتِ التي تدل على العذرِ المقبول لسببِ التأخُّرِ: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي

بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ .

أي حجة واضحة أو عذر مقبول .

الوقفةُ الثالثةُ:

استنكارُ الهدهدِ لأحوالِ سبأ حيثُ انتكستْ فِطْرتهم فخَضَعُوا لامْرأة وجعلوهَا مَلِكةً عليهمْ ، ولا يُفْلحُ قوم ولّوا أمرَهُمْ امرأة[1].

﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ .

الوقفةُ الرابعةُ:

استنكارُ الهدهدِ لهذا الفعلِ الشرْكي الخبيثِ الَّذِي رآه ، وهُوَ سجودُهم للشمس منْ دونِ الله ، فلمَّا لَمْ يستطعْ أنْ يغيرَ المنكرَ بنفسهِ ، قام بتبليغ هذا المنكرَ إلىٰ منْ يستطيعُ تغييرَه .

الوقفةُ الخامسةُ:

كيفَ استدلَّ الهدهدُ علىٰ وجودِ الله ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ الشيء الخفيّ ؟

وذَلكَ لأنَّ الهدهد مخلوق عجيبٌ يأتي إلىٰ المكانِ الذي لا يَرَىٰ الإنسانُ فيهِ شيئًا ، فإذا به يَنْقُرُ بمنقارِهِ الطَّويلِ ويَستخرجُ دُودةً من باطنِ الأرضِ فيأكُلُها . .

ولكنْ كيفَ رآها وهي مخفية عنِ الأنظارِ؟

قالَ علماءُ التشريحِ : لقدْ خلَقَ اللهُ للهدهدِ في عَيْنيهِ عَدَسَاتٍ متتابعةً يَخْتَرِقُ بها بعضَ طبقات الأرض ليلتقطَ رِزْقَهُ بأمر اللهِ .

فسبحان الذي خَلَقَ فسوَّىٰ ، وقَدَّرَ فهدىٰ .

* * *

(١) «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» رواه البخاري عن أبي بكرة .

خبرٌ من جزر القمر(١)

في أواخرِ سنة ١٩٩١م رصدتْ أجهزةُ البراكينِ أنَّ بركانًا سينفجر في دولة «جُزُرِ الْقُمُر» يوم كذا، وسارع العلماءُ، والصَحَفيونَ، والمصورون من أنحاءِ العالمِ لمراقبةِ هذا الحادث وتصويرِه.

ومن بينِ هؤلاءِ العلماءِ فريق من المهندسينَ الفرنسيينَ، فلما وصلوا إلىٰ جزرِ القُمُر سَمِعوا أصواتًا، فسألوا عنْ مصدرِ هذه الأصواتِ.

فقالوا: هذهِ أصواتُ المسلمينَ في مساجدِهمْ.

قال رئيس المهندسينَ: ماذا يفْعلونَ؟

قالوا: يتضرَّعونَ إلىٰ ربهم أن يدفعَ عنهُمْ هذا البُرْكانَ فلا ينفجرَ.

فقالَ: وهلْ يمكنْ أنْ ينصرفَ هذا البركانُ المتحققُ الوُقوع بهذا الكلام؟ أحضروا لي هؤلاءِ المسلمينَ.

فقال لهم: إنَّ البركانَ سينفجرُ في ساعةِ كذا منْ يومِ كذا كما رصدتْ الأجهزةُ ذلك، وكما صوَّرت الغليانَ تحت القِشْرةِ الأرضيَّةِ في اتجاهِهِ إلىٰ أعلىٰ الذي لا يمكنُ أن يتراجعَ قط.

فقالَ المسلمونَ: لكنَّنا نؤمنُ أنَّ الأرضَ للهِ، والسَّماءَ للهِ، والكونَ للهِ، فالخَلْقُ خَلْقُه، والأمرُ أمرُه، والحُكْمُ حكْمُه، والقَضاءُ قضاؤُه، فلا يكونُ شيءٌ في كونِهِ إلا بأمرِه، ولا يحدُثُ شيءٌ في مُلكِهِ إلا بإذنِهِ، فإن شاءَ انفجرَ البركانُ، وإنْ لم يشأْ لم ينفجر.

---

(١) راجع كتاب «إلىٰ الذي سأل أين الله» ص١٥٩، والقُمُر: بضم القاف والميم.

فقالَ: افعلُوا ما بَدا لكُمْ، وإنْ لَمْ ينفجرِ الْبُركانُ دخلتُ معكُم في دينِكمْ.

فذهب المسلمون إلىٰ مساجدهم يُهْرَعُونَ إلىٰ ربهم بالتَّضَرّع والدعاء راجينَ منهُ ـ سبحان ـ أن يدفَعَ عنهم هذا البلاء، وألا يُخْزِيَهُمْ أمامَ هذا الرجلِ المنكرِ الجاحدِ.

وجاءتْ ساعةُ الصفْرِ، والجميعُ في انتظارِ الانفجارِ منَ المصورينَ والصَّحَفيين، والأقمارُ الصناعيةُ أرسلتْ أشعتها للتصوير، ولكنَّ المفاجأةَ الكبرىٰ أنَّ البركانَ لم ينفجرْ، ومرَّ الوقتُ المحدَّدُ ولم ينفجر، ومرّ يوم ويومانِ وثلاثة ولمْ ينفجرِ البركانُ؛ فأعلنَ المهندسُ إسلامَه وشَهِدَ أن «لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ الله».

* * *

القرودُ تقيمُ حدًا مِن حُدودِ اللهِ

منَ المعلومِ أنَّ القرودَ حيوانات عجيبة تصْدُر منها أفعال غريبة تَدل علىٰ عقْل وذَكَاء في بعضِ الأحيانِ.

وحركاتُ القرودِ مشهورة معروفة، لكنَّنا اليومَ سنتناولُ حَدثًا هامًا سجَّله لن التاريخُ ليعتبرَ به البشرُ، فمنَ المعلومِ أنَّ القرودَ يحتفظُ كلٌّ منهم بزوجتِهِ ولا يعتدِي عليها آخرُ، وهم يختلفونَ في ذلكَ عن كثيرٍ منَ الحيوانات.

فحدثَ في يوم مِنَ الأيَّامِ أنَّ قِردًا عجوزًا خانتْهُ زوجتُهُ الشَّابَّةُ معَ قِرْد آخر شَاب، فاجتمعتْ عليهما القرودُ وأقامُوا عليهما حَدَّ الرَّجْم فرجَمُوهما بالحجارةِ حتَّىٰ ماتَا، والقِصَّةُ رواها البخاري في «صحيحه» والإسْمَاعيليّ في «المستخرج»، وإليك نصها:

«عن عيسىٰ بن حِطَّانَ قالَ: دخلتُ مسجدَ الكُوفةِ، فإذا عمروُ بن ميمون الأَوْدِي جالسٌ وعندَهُ ناس فقالَ لهُ رجُل: حدثْنا بأعجَب شيء رأيتَه في الجاهليةِ.

قال: كنت في حرْثٍ لأهْلِ اليمنِ، فرأيتُ قرودًا كثيرةً قَدِ اجْتَمَعنَ، قال: فرأيتُ قِرْدًا وقِرْدةً اضطجَعَا، ثمَّ أدخَلَتِ القِرْدة يَدَها تحتَ عُنُقِ القِرد واعْتَنَقَتْهَا، ثم ناما فجاءَ قرد فَغَمزَها من تَحْتِ رأسها، فاسْتَلَّتْ يَدَها من تحت رأَسِ القِرْدِ، ثمَّ انْطَلَقَتْ معَهُ غيرَ بعيدِ، فنكحَهَا، وأنا أنظرَ، ثمَّ رَجَعَتْ إلى مضجَعِها.

فَذَهَبَتْ تُدْخل يدها تحت عنق القرد كما كانتْ فانْتَبَه القردُ، فقامَ إليها فَشَم دُبُرَها، فاجتمعتِ القِرَدَةُ فجعل يشيرُ إلَيْها، فتفرَّقت القِرَدَةُ، فلمْ ألبثْ أن

جِيء بذلكَ القِرْدِ بعينه، أعرِفهُ، فانطلقوا بها وبالقردِ إلىٰ موضعِ كثيرِ الرمْلِ، فحفرُوا لهما حَفيرة، فجعلوهُمَا فيها، ثمَّ رَجَموهما حتَّىٰ قتلُوهما، واللهِ لَقَدْ رأيتُ الرَّجْمَ قَبْلَ أنْ يَبْعَثَ اللهُ محمداً ﷺ»(١).

وفي روايةِ البخاري: أنَّ عمروُ بن مَيْمُون رَجَمَهُمَا مَعَهُمْ.

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري مختصراً في مناقب الأنصار، باب القسامة في الجاهلية، وعزاه الحافظ في الفتح (٧/ ١٩٦) للإسماعيلي، هو في «التاريخ الكبير» للبخاري (٦/ الترجمة رقم (٢٦٥٩) وهو في «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٢٦٥) ومنه نقلت.

النمل يعاقب الكذاب بالإعدام

قال ابن القيم رحمه الله:

النملُ منْ أهدىٰ الحَيوانات، وهدَايتُها منْ أعْجَبِ شيءٍ، فإنَّ النَّملةَ الصغيرةَ تخرُجُ منْ بَيْتها وتطلُبُ قُوتها، وإنْ بعُدتْ عليها الطريقُ، فإذا ظفرَتْ به حملَتْهُ وساقَتْهُ في طُرُق معْوجَّة بعيدة ذَات صُعُود وهُبُوط في غاية من التَّوَعرِ حتىٰ تصِلَ إلىٰ بيوتِها فتَخزُنَ فيها أقواتها في وقْت الإمكان، فإذا خَزَنَتْها عَمَدَتْ إلىٰ ما كانَ ينبتُ منها فَفَلَقَتْهُ فِلْقَتَيْنِ لئلا ينبُتَ، فإنْ كانَ يَنْبتُ معَ فَلْقه باثْنَتَيْن فلَقَتْه بأربعة.

فإذا أصابهُ بَلَل وخافتْ عليه العَفَنَ والفَسَادَ انتظرَتْ به يومًا ذا شَمْس فخرجَتْ به فنشَرتْهُ علىٰ أبوابِ بُيُوتِها ثُمَّ أعادَتْه إلَيْها ولا تتغذىٰ منها نملة مَّما جمعَهُ غيرُها[1] . اهـ.

وقال رحمه الله:

ولقدْ حدَّثني أنَّ نملةً خرجتْ منْ بيتها فصادفتْ شقَّ جرَادَة فحاولَتْ أن تحملَهُ فلم تُطقْ، فذهبَتْ وجاءَتْ معها بأعوان يحملْنَهُ معهَا، قال: فرفَعْتُ ذلكَ منَ الأرضِ فطافَتْ في مكانه فلم تجدْهُ فانصرفوا وتركُوها.

قالَ: فوضعتُه فعادَتْ تُحاوِلُ حَمْلَه فلمْ تقدِرْ فذهبَتْ وجاءَتْ بِهِمْ فَرَفَعْتُهُ، فطافَتْ فلمْ تجدْه فانصرفوا.

قال: فَعَلْتُ ذلك مرارًا، فلمَّا كانَ في المرَّة الأُخْرىٰ استدَارَ النَّمْلُ حَلْقَةً ووضعوها في وَسَطِهَا، وقطَّعُوها عُضْوًا عُضْوًا.

قالَ شيخُنا[2] ـ وقد حكيتُ لهُ هَذه الحكايةَ ـ فقال: هذه النَّمْلُ فَطَرَها اللهُ علىٰ قُبْحِ الكذبِ وعقوبَةِ الكذَّاب. اهـ[3].

---

(١) شفاء العليل (١ / ١٨٨).

(٢) يعني شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

(٣) شفاء العليل (١ / ١٩٠).

الفأرة وعلم الكيمياء

قالَ ابنُ القيم رحمهُ اللهُ:

ومنْ عجيبِ أمْر الفأرةِ أنَّها إذا شَربت منَ الزَّيتِ الَّذي في أعلى الجرَّة فنقَص وعَزَّ عليها الوصولُ إليه ذهبت وحملتْ في أفواهِها ماءً وصبَّتْه في الجرَّة (فينزِلُ الماءُ إلى أسفلَ ويرتفعُ الزيتُ إلى أعلى لأنَّ كثافةَ الزيتِ أقل منْ كثافة الماءِ) فحينئذ تشَربُ منْه[1] ا. هـ.

فَمَنْ أعلمَ الفأرَةَ أنَّ كثافة الزيتِ أقل مِنْ كثافةِ الماء؟

الذي أعلَمَها هُو الذي خلقَها وفطرَها على تحصيلِ رزْقِها.

يَا مَنْ يَرَى مَا في الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ ... أَنْتَ الْمُعدُ لكُلِّ مَا يُتَوقَّعُ
يَا مَنْ يُرَجَّى للشَّدَائِد كُلِّها ... يَا مَنْ إليْهِ الْمُشْتكَى وَالْمَفْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رزقِهِ في قَوْلِ كُنْ ... امْنُنْ فَإنَّ الْخَيْرَ عنْدَكَ أجْمَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ ... فَلَئِنْ رَدَدْتَ فَأيَّ بَاب أَقْرَعُ؟
وَمَن الَّذِي أدْعُو وَأهْتفُ باسْمِهِ ... إنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقيرِكَ يُمْنَعُ؟
حَاشَا لِجُودِكَ أنْ يُقنِّطَ عَاصِيًا ... الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ[2]

* * *

(١) شفاء العليل (١/ ٢٠٠) وما بين القوسين ليس من كلامه.
(٢) وفيات الأعيان (٣/ ١٤٣).

قِصةُ إسلامِ العَالمِ التايلاندِي «تاجَاثات تاجَاسُونَ»

إِنَّهُ البروفيسور «تاجاثات تاجاسون» رئيسُ قِسْمِ التشريح والأجنَّةِ في جامعةِ «شاينج ماي» بتايلاند، ثمَّ أصبحَ عميدًا لكليةِ الطب بِها.

قامَ بدعوتهِ فضيلةُ الشيخ؟ عبدُ المجيدِ الزِنْداني اليمني ـ حفظهُ اللهُ ـ حيثُ عَرَضَ عليهِ بعضَ الآياتِ والأحاديثِ المتَعَلقَةِ بمجال تخصصهِ في علمِ التشريح.

فردَّ البروفيسور تاجاسون قائلاً: ونحنُ كذلكَ يوجدُ لدينَا فِي كُتُبنا المقدَّسةِ أوصاف دقيقة لأطوارِ الجنين.

فقالَ الزَّنْداني: نحنُ بشوق لمعرفةِ هذهِ الأوصاف فنريدُ أن نطَّلعَ على ما كُتِبَ في هذهِ الكتب

وعندما عادَ بعدَ عام كامل سألُوهُ عمَّا وعدَهم به، فأجابَ تاجاسون قائلاً: أعتذرُ لكُمْ عنْ ذلكَ لأنَّني كنتُ قدْ ذكرتُ لكُمْ ذلكَ دونَ تثبت، ولمَّا بحثْتُ في كُتُبنا المقدسَّة لم أَجدْ شيئًا ممَّا ذكرتُ لكم.

فأعطَوْه محاضَرَةً للدكتور «كيث مور» بعُنْوان «مُطَابَقَةُ عِلْمِ الأَجنَّةِ لِمَا فِي القُرْآنِ وَالسنَة» وبعْدَما اطَّلَعَ على هذهِ المحاضرة انْدَهَشَ جداً.

ثمَّ قالُوا لهُ: بصفَتِكَ مُتَخَصِّصًا في عِلْمِ التَّشْريحِ، نرْجو الإجابَةَ عن هذا السؤَالِ.

قال: ما هو؟

قالُوا: أينَ يُوجَدُ مستقبِلُ الإحْسَاسِ بالألم في جسمِ الإنسانِ؟

قالَ: يوجدُ في الجلدِ في أطرافِ الأعصابِ، فإذا احترقَ الجلدُ كاملاً دُمرَتِ الأعصابُ الحاسَّةُ فلا يشعُرُ الإنسانُ بعدَ ذلكَ بالألَمِ.

قالُوا: متىٰ اكْتَشَفَ العُلَماءُ هذا الاكْتِشَافَ؟

قالَ: قريبًا جدًا، بعْدَ تقدمِ الأجهزةِ، والأشعاتِ الحديثةِ.

قالوا: لكنَّ القُرآنَ قدْ أخبرَ بذلك قَبْلَ ألف وأربعمائةِ عَام.

قالَ: أينَ ذلكَ؟

فَقَرؤوا عليه الآيةَ: ﴿**إِنَّ الَّذين كفرُوا بآياتنا سَوْفَ نُصْليهِمْ نارًا كُلَّمَا نَضجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: ٥٦].

ثُمَّ قَامَ المترجمُ فترجمَ له معانيَ الآيةِ بالإنجليزيةِ، وبيَّن له أنَّ اللهَ - عَزَّ وجلَّ - يعذبُ الكفَّار بالنَّارِ يومَ القيامةِ، فإذا احْترقتْ جلودُهم توقَّفَ الإحساسَ بالأَلَم فيخْلُق اللهُ لهُمْ جلودًا أخرىٰ ليستَمِرَّ الإحساسُ بالألمِ ﴿**لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**﴾.

فقالُوا لَهُ: هلْ يمكِنُ أن يكُونَ محمد ﷺ تلقَّىٰ هذهِ العلومَ مِنْ مَصْدَر بَشَرِي؟

قالَ: لا يُمْكن لأنَّ العلمَ آنذاكَ لم يكن يَعرفُ شيئًا عنْ ذلكَ.

قالُوا: إذًا مِنْ أينَ تلقَّاها؟

قالَ: أنا أسأَلُكُم أنتُم مِنْ أينَ تلقَّىٰ محمد هذهِ العُلُوم؟

قالوا: مِنْ عِنْد الله سبحانَه وتعالىٰ.

قالَ: ومَنْ هُوَ اللهُ؟!!!

قالوا: إنَّه الخالقُ لهذا الوُجود.

إذا رأيتَ الحكمةَ دلَّتك علىٰ وُجودِ حكيم.

وإذا رأيتَ العِلْم في هذا الوُجود دَلَّكَ على أنَّه مِن صُنع العليم.

وإذا رأيتَ الرَّحمةَ في الوجودِ دلَّتْك على أنَّها مِنْ صُنع الرَّحيم.

ثُمَّ شرحُوا لهُ معنى الإسلام، فوافَقَهُم عقْليًّا لكنَّه لمْ يُعْلنْ إسلامَه.

ثمَّ عـاد إلى بلادِه وألقى عـدَّة مـحـاضـرات عَن هذِه الظَّاهِرَة «ظَاهِرَة سَبْقِ الْقُرْآنِ لِلْعِلْمِ الْحَدِيثِ» فأسلمَ خمسة مِن طُلاَّبه.

ثمَّ جاءَ البروفيسـور «تاجاسون» لحضُورِ المؤْتمرِ الطبي السعُودي الثَّامنِ واستَمَعَ في الصَّالةِ الكبرى التي خُصصَتْ للإعْجازِ الطبِي في القُرْآنِ والسنَّة طوَالَ أربعةِ أيَّام لعدد مِنَ الأسَاتذَة المسلمينَ وغير المسلمينَ يتحدثُونَ عن هذهِ الظَّاهرةِ «الإعْجازِ الْعِلْمِي في الْقُرْآنِ وَالسّنَّةِ».

البروفيسور يعلن إسلامه:

وَفي الجلسة الختاميَّة قامَ البروفيسور «تاجاسون» يقولُ: في السَّنَواتِ الثَّلاثة الأخيرةِ أصبَحْتُ مُهْتَمًا بتَرْجَمةِ معاني القُرآنِ الكريمِ الذي أعطاهُ لي الشيخُ عبدُ المجيد الزّنْداني ومحاضراتِ البروفيسور «كيث مور» التي طَلَبَ مني الشَّيخُ الزّنْداني أن أتَرْجمهَا إلى اللغة التايلاندية وأنْ ألقيَ فيها بعضَ المحاضرات للمسلمينَ في تايلاند، فأجبتُهُ إلى طَلِبِهِ، ويُمكنكُمْ أن تَروْا هَذَا في الشَّرِيط الذي أعطيتُه في دراستي.

فإنَّني أومِنُ أنَّ كُلَّ شيء ذُكِرَ في القرآنِ منذُ ١٤٠٠ سنة لا بدَّ أن يكونَ صحيحًا، ويمكن إثباتُه بالوسائلِ العلْميَّة، وحيثُ إنَّ النبيَّ محمدًا لم يكنْ يستطيعُ القراءةَ والكتابةَ فلا بدَّ أنْ يكونَ قدْ جاءَ بهذهِ الحقائقِ عنْ طريقِ وحْيٍ مِنْ خالق عليم بكل شيء ولذلكَ فإنَّني أعْتَقدُ أنَّه قدْ حانَ الوقتُ لأنْ «أشهدَ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ الله».

ثم كرَّر الشَّهادَتَيْن بالإنجليزيَّةِ مرَّةً وبالعَرَبيةِ أُخْرَى.

فانطلقَتْ هذه الكلماتُ المضيئةُ، وهذه الشهادةُ الحَقَّةُ بينَ تكبيراتِ الحاضرِينَ ودموع المشاهدين(١).

فالحمدُ للهِ الذي صَدَقَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وأعزَّ جُندَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه.

وصدقَ اللهُ القائلُ: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** [فصلت: ٥٣].

* * *

(١) إنه الحق (٣٠)، مفرغ من شريط فيديو بنفس العنوان توزيع هيئة الإعجاز العلمي بمكة المكرمة.

قصيدة[١] في التفكر في مخلوقات الله

لله في الآفاق آياتٌ لعَـ ... ـلَّ أَقَلَّهَا هُوَ مَا إِلَيْهِ هَدَاكَا
وَلَعَلَّ مَا في النفسِ منْ آيَاته ... عَجَبٌ عُجَابٌ لَوْ تَرَى عَيْنَاكَا
وَالْكَوْنُ مَشْحُونٌ بِأَسْرَار إِذَا ... حَاوَلْتَ تَفْسِيرًا لَهَا أَعْيَاكَا
قُلْ لِلطَّبِيبِ تَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدَى ... يَا شَافِيَ الأَمْرَاضِ مَنْ أَرْدَاكَا؟
قُلْ لِلْمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِيَ بَعْدَمَا ... عَجَزَتْ فُنُونُ الطِّبِّ مَنْ عَافَاكَا؟
قُلْ لِلصَّحِيحِ يَمُوتُ لاَ مِنْ عِلَّةٍ ... مَنْ بِالْمَنَايَا يَا صَحِيحُ دَهَاكَا؟
قُلْ لِلْجَنِينِ يَعِيشُ مَعْزُولاً بِلاَ ... رَاعٍ وَمَرْعَى: مَا الَّذِي يَرْعَاكَا؟
وَإِذَا تَرَى الثُّعْبَانَ يَنْفُثُ سُمَّهُ ... فَاسْأَلْهُ مَنْ ذَا بِالسُّمُومِ حَشَاكَا؟
وَاسْأَلْهُ كَيْفَ تَعِيشُ يَا ثُعْبَانُ أَوْ ... تَحْيَا وَهَذَا السُّمُّ يَمْلأُ فَاكَا؟
وَاسْأَلْ بُطُونَ النَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرَتْ ... شَهْدًا وَقُلْ لِلشَّهْدِ مَنْ حَلاَّكَا؟
بَلْ سَائِلِ اللَّبَنَ الْمُصَفَّى كَانَ بَيْـ ... ـنَ دَمٍ وَفَرْثٍ مَا الَّذِي صَفَّاكَا؟
قُلْ لِلْهَوَاءِ تُحِسُّهُ الأَيْدِي وَيَخْـ ... ـفَى عَنْ عُيُونِ النَّاسِ مَنْ أَخْفَاكَا؟
وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَدْرَ يَسْرِي نَاشِرًا ... أَنْوَارَهُ فَاسْأَلْهُ: مَنْ أَسْرَاكَا؟
وَاسْأَلْ شُعَاعَ الشَّمْسِ يَدْنُو وَهْيَ أَبْـ ... ـعَدُ كُلِّ شَيْءٍ: مَا الَّذِي أَدْنَاكَا؟
قُلْ لِلْمَرِيرِ مِنَ الثِّمَارِ مَنِ الَّذِي ... بِالْمُرِّ مِنْ دُونِ الثِّمَارِ غَذَاكَا؟
وَإِذَا رَأَيْتَ النَّارَ شَبَّ لَهِيبُهَا ... فَاسْأَلْ لَهِيبَ النَّارِ: مَنْ أَوْرَاكَا؟
وَإِذَا تَرَى الْجَبَلَ الأَشَمَّ مُنَاطِحًا ... قِمَمَ السَّحَابِ فَسَلْهُ: مَنْ أَرْسَاكَا؟

---

(١) القصيدة منسوبة للشاعر علي بديوي.

وَإذا تَرَى صَخْراً تَفَجَّرَ بالْمِيا ... ه فَسَلْهُ: مَنْ بالْمَاء شَقَّ صَفَاكَا؟
وَإذَا رَأَيْتَ النَّهْرَ بالْعَذْبِ الزُّلا ... ل جَرَى فَسَلْهُ: مَنِ الَّذِي أَجْرَاكَ؟
وَإذَا رَأَيْتَ الْبَحْرَ بِالْمِلحِ الأُجَا ... ج طَغَى فَسَلْهُ: مَنِ الَّذِي أَطْغَاكَا؟
وَإذا رَأيْتَ اللَّيْلَ يَغْشَى دَاجِيًا ... فَاسْألْهُ: مَنْ يَا لَيْلُ حَاكَ دُجَاكَا؟
وَإذَا رَأيْتَ الصُّبْحَ يُسْفِرُ ضَاحِيًا ... فَاسْأَلْهُ: مَنْ يَا صُبْحُ صَاغَ ضُحَاكَا؟
هَذِي عَجَائِبُ طَالَمَا أُخِذَتْ بِهَا ... عَيْنَاكَ وَانْفَتَحَتْ بِهَا أُذُنَاكَا
وَمَنِ الَّذِي تَعْصِي وَيَغْفِرُ دَائِمًا ... وَمَنِ الَّذِي تَنْسَى وَلا يَنْسَاكَا؟
يَأَيُّهَا الإنْسَانُ مَهْلاً مَا الَّذِي ... باللهِ جَلَّ جَلالُهُ أغْرَاكَا؟
يَا مُدْرِكَ الأَبْصَارِ وَالأَبْصَارُ لا ... تَدْرِي لَهُ وَلِكُنْهِهِ إدْرَاكَا
إنْ لَمْ تَكُنْ عَيْنِي تَرَاكَ فَإنَّنِي ... فِي كُلِّ شَيْءٍ أَسْتَبِينُ عُلاكَا
يَا مُنْبِتَ الأَزْهَارِ عَاطِرَةَ الشَّذَا ... هَذَا الشَّذَا الْفَوَّاحُ نَفْحُ شَذَاكَا
فَاقْبَلْ دُعَائِي وَاسْتَجِبْ لِرَجَاوَتِي ... مَا خَابَ يَوْمًا مَنْ دَعَا وَرَجَاكَا

❊ ❊ ❊

خاتمة

وَقْفَةٌ صَادقَةٌ:

وبعدَ هذا التَّطْواف في صَفْحة الكون، يَنبغي لكَ أخي المسلمَ أنْ تَقفَ معَ نفسك وقْفَةً صادقةً تُحاسبُ فيها نفسَك، وتُراقبُ فيها ربَّك، وتُعَدلُ فيها مَسيرتَكَ إلىٰ الله، فتتحَوَّلُ منَ الغَفْلَة إلىٰ اليقظة، ومنَ الكَسَل إلىٰ الجد والنَّشاط، ومنَ التَّكالب علىٰ الدنيا إلىٰ المسارعَة إلىٰ الآخرة، ولْتَعْلَمْ يا عبدَ الله أنَّك الآنَ فوقَ الأرض وغداً ستصيرُ تحت الأرض.

مَـا لي رأيْتُـكَ تَطْمَـئِنُّ ... إلَى الحَيَـاة وتَرْكَنُ
يَا سَـاكِنَ الحُجُـرَات مَـا ... لَكَ غَيْرُ قَبْرِكَ مَسْكَنُ
فَـاليَـومَ أنت مُكَـاثرٌ ... وَمُـفَـاخِـرٌ تَتَزَيَّن
وَغَـداً تَصِـيرُ إلَى التُّـرَا ... ب مُـحَنَّـطٌ وَمكَفَّن
أَحْـدِثْ لِربِّكَ توْبَـةً ... فَسَبيلُهَـا لَكَ مُمكِن
فَكَـأنَّ شَخْصَكَ لَمْ يَكُنْ ... في النَّاسِ سَاعَةَ تُدفَن
وكَأنَّ أهْلَكَ قَـدْ بَكَوا ... جَزَعًا عَلَيْكَ ورَنَّنُوا
فَإذا مَضَى لَكَ جُمْعَةٌ ... فَكَأنَّهُمْ لَمْ يَحْزَنُوا
وَالنَّاسُ فِي غَفَلاتهِمْ ... ورَحى المَنيَّة تَطْحَن

يا عبدَ الله: تذكَّرْ نفسَك وأنتَ علىٰ فراشِ الموتِ وحولَكَ الأهلُ والأصحابُ، والإخوانُ والأحبابُ لكنَّهم لا يملكونَ لكَ حولاً ولا طولاً، لا يملكونَ لك نَفْعًا ولا ضراً، وأنتَ تُوَدعُ الدنْيا بنظَرات، وتودعُ أطفالَكَ الصغار وأهلَكَ وعشيرتَك.. في ساعَة الفراق، وكأنَّكَ تقولُ لَهُم: يا أهلي يا أبْنَائي عمّرتُ في الدنيا طويلاً وجَمَعْتُ المالَ منْ حله وحَرَامه، وبَنَيْتُ الدورَ وسكنْ

القُصُورَ، ثمَّ ها أنا أرْحلُ عنها، لا آخذُ معي شيئًا.

ـ ثمّ تذكر نفسَك وأنتَ مُسَجّىً علىٰ فراشِ الموتِ وحولَك الأطبّاءُ والأحبّاء والأعزاءُ، يمُدَّ أحدهم يدَه إلىٰ أنفك لِيَتَيَقَّنَ مِنْ تردد نفَسك، ويضَعُ أحدُهم يده علىٰ صدْرك لِيَتَحَقَّقَ مِنْ ضَرَبَاتِ قلْبِكَ، ولكنْ هيهاتَ، لقدْ توقَّفَ النَّفَسُ، وسكَنَ القلْبُ، وشخَصَتِ العَيْنَانِ، وامتدَّتِ الرجلان، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

يَقْلِبُونَكَ علىٰ بطنِكَ فلا تستطيعُ أنْ تعْتَدلَ، وأُخْرَىٰ علىٰ ظَهْرِكَ فلا تتحركُ، وسالتِ الدموعُ من حولِكَ، بكىٰ أبناؤُك وحزِنَ أصدقاؤُكَ، وقاموا ليشتروا لكَ الكفنَ ويسخُنوا لكَ الماءَ ليغسلوكَ ويجهزوكَ، وفي الترابِ يضعوكَ، وفي حُفْرة ضيقة يتركوكَ.

ـ ثمّ تذكَّرْ نفسَك وأنتَ علىٰ خَشَبَةِ الغُسْلِ مَوضوع.

ـ أين يَدَاكَ القويَّتَانِ اللتانِ كنتَ تبطِشُ بِهِما في الدنْيا؟
قَدْ ماتَتَا.

ـ أينَ رِجْلاك القويتانِ اللتانِ كنتَ تدب بهما علىٰ ظهر الدنيا؟
قد ضَعُفَتَا.

ـ أينَ عيناكَ الجميلتان اللتانِ كنتَ تنظُرُ بهما إلىٰ الحلال والحرام؟
قَدْ عَمِيتَا.

ـ أينَ لِسانُكَ الذي كانَ لا يَفْتُرُ منَ الكلامِ، والسخريةِ والاستِهْزاءِ؟ قد يَبِس.

ـ أينَ بطنُكَ الذي امتلأَ مِمَّا لذَّ وطابَ؟ قد خَنَعَ.

ـ أينَ قُوّتُك... أينَ سُلْطانُك... أينَ جَاهُك؟

- أينَ أموالُك . . . أينَ عِماراتُك . . . أين تِجاراتُك؟

- أينَ عِزُّكَ . . . أينَ أنتَ، وإلى أينَ ذاهب؟

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [القيامة: ٣٠].

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا ... فَأَيْنَ الْمُعَظَّمُ وَالْمُحْتَقَرْ
وَأَيْنَ الْمُدِلُّ بِسُلْطَانِه ... وَأَيْنَ العَظِيمُ إِذَا مَا افْتَخَرْ؟!
تَفَانَوْا جَمِيعًا فَمَا مُخْبِرٌ ... وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبَرْ
فَيَا سَائِلِي عَنْ أُنَاسٍ مَضَوْا ... أَلا لَكَ فِيمَا مَضَى مُعْتَبَرْ؟!

- ثُمَّ تذكَّرْ نفسَك وأنتَ أمامَ المصلينَ وهمْ يُصلونَ عليكَ صلاةَ الجنَازَة، وأنتَ لا تستطيعُ أنْ تخرُجَ فتصلِّي معَهُمْ بل قد طُوِيَتْ صحيفَتُك، وانقَطَعَ أثَرُكَ وانتهَى أجلُكَ، وهم يترحَّمُونَ عليْكَ، ويستَغْفِرونَ لَك.

- ثم تذكَّرْ نفسكَ وقد حُمِلْتَ على الأَعْناق، ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [القيامة: ٢٩، ٣٠].

- ثمّ تذكَّرْ نفسَك وقد حَفَروا لكَ في الأرضِ حُفْرةً ضيقةً، ووضعُوكَ فيها وحيدًا فريدًا، ثمَّ هَالوا عَلَيْكَ التّرابَ وفارقَكَ الأهلُ والأحبابُ.

- نادِ بأعْلَى صوتِك - إن استطعتَ -: يا زوجَتِي يا مَنْ كُنْتِ تَزْعُمينَ محبَّتي، هلاَّ بِتِّ مَعي أوّلَ ليلة في قَبْرِي؟

- نادِ بِأعْلَى صوتِك: يا بُنَيَّ يا مَنْ كنتَ تزعُمُ محبَّتي هلا آنستني في قَبْري؟. يا أحْبَابِي. . يا أصْحَابِي. . يا إِخْوانِي تَتْركونِي وحيدًا، وفي ظلمةِ القبرِ فريدًا؟!

- ثُمَّ تذكَّرْ نفسَك وقدْ جاءَك ملكانِ شَدِيدا الانْتهَار فيُقْعِدانِكَ ويسألانِكَ:

- من ربك؟ - ما دِينُكَ؟ - من نَبِيُّك؟

فلا يَرُد إلا ذو الإيمانِ الرَّاسخِ، والعقيدةِ الثابتة.

الذي كانَ يحافظُ على الصلواتِ، ويقومُ في الظُّلُماتِ، ويذكُرُ الله في الخلوات ويراقب رب الأرض والسموات. أما ضعيف الإيمان .... مهزوز العقيدة .... الذي كان لا يعرف المسجدَ إلا يومَ الجُمُعةِ.. فيترَدَّدُ.. ويتخوَّفُ. ويرتَعدُ.

فَيَا فرْحَةَ مَنْ ثبتَ وأجابَ، وتذكَّرَ الجوابَ.

ويا حسرةَ من أُمْسكَ لسانُهُ، وارتعدَتْ فرائصُهُ.

فيا تُرَى أي الرَّجُلينِ أنتَ، ومِنْ أي الحزبَيْنِ أنتَ؟

- واعلَمْ أنَّك حينمَا توضَعُ في قَبْرِكَ إمَّا أن يُفْسَحَ لَكَ فيه مَدَّ البصرِ، ويُفْتَح لكَ باب فتَنظُرَ منهُ إلى الجنَّة فترى النعيمَ المقيمَ والحُورَ والقصورَ، فتقولَ: لِمَنْ هذا؟ فيُقالُ: هذا منزِلُك في الجنَّة، فتقولُ: أريدُ أنْ أدخُلَه فيُقالُ لك: أمَّا الآنَ فلا. ويأتيكَ مِنْ نعيمِ الجنَّة وحُبورها وسُرورها ما يُفرِحُكَ ويُسعِدُكَ، فتقولُ: رب أقِمِ السَّاعةَ لِكَيْ أدخُلَ مَنْزِلِي في الجنَّة، وأتمتَّعَ بقصُوري فيها.

وإمَّا أنْ يُفتَح لك باب إلى النَّارِ - نعوذُ باللهِ من غَضَبِ الجَبَّار - فترى النَّارَ يَحْطِمُ بعَضُها بَعْضًا، ويأكلُ بعضُها بعضًا، وترى الحميمَ يغْلِي، والضَّرِيعَ، والحيَّاتِ تتلوَّى تُريد أن تنقضَّ عليكَ في قبْرِكَ، فيقالُ لك: هذا منزِلُكَ في النَّار فتصرخُ وتقولُ: يا رب لا تقمِ السَّاعَةَ.. لا تُقِمِ السَّاعَةَ، ثُمَّ يأتيكَ من حرها ولهيبِها وعذَابِها ما يُشْقيكَ في قبْرِك ويؤلِمُكَ في لحْدِكَ.

- فاختَرْ لنفسِك يا عبدَ اللهِ أيَّ الدارَيْنِ: دارَ السّعادةِ الأبدية، والنعيمِ المقيمِ، والراحة النفسيةِ، ورضا رب العالمينَ.

دارٌ لا يَبْلَى فيها شبابُك، ولا يَملُّ فيها قلبُك، ولا يَشْقَى فيها بدنُك.

لذّة.. نَعِيم.. حُور.. طَعَام.. شَرَاب.. قُصُور.. مِسْك...

وَتَوَفَّنا وأنتَ راضٍ عنَها ، واحشُرْنا في زُمْرة نبينا ﷺ .
وسبحانَك اللَّهُمَّ وبحمدِك ، أشهَدُ أن لا إله إلا أنت ، أستغْفرُكَ وأتوبُ إليك .

وكتبهُ
الفقيرُ إلى عفو ربِّه
وحيد بالي
منشأة عباس[1] في ١٩ رجب ١٤١٧ هـ

(١) وكانت كتابة الخاتمة بعد ثلاثة أيام من موت جارنا العزيز «علي عثمان» رحمه الله رحمة واسعة .